

فخرت بنحو ملبوس واكل وذلك فخر ربات الحجول
تفاخرهن في خد اميل وفرع من مفارقتها رسيل
فامجد من ابيك اذا اثرنا عراة كاليوث و كالنصول
قال : فلما اجبته بهذه الايات نظر الصاحب ابن عباد الى
الرجل فقال : كيف ترى ؟ فقال : لو سمعت به ما صدقت ؛
قال : فاذن جائزتك ان وجدتك بعدها في مملكتي امرت
بضرب عنقك ، ثم قال : لاترون رجلاً يفضل العجم على العرب
الا وفيه عرق من المجوسية يرجع اليها .
وسواء اصح وقوع هذه الحادثة ام كانت ضرباً من مقامات
يديع الزمان فانها تصور حب الصاحب للعرب والعربية و بغضه
للشعوبية

ما اخذ عليه في اخلاقه وسيرته

حسنت الصاحب كثيرة جداً وما اخذ عليه من الزلات
والهفات مروى عن ابي حيان التوحيدى الذي الف كتابا ثلب
فيه ابن العميد والصاحب سماه مثالب الوزيرين و ابو حيان
معروف بالتزيد والوضع والمبالغة لاسيما فيما كتبه على الصاحب
فانه تعصب عليه كثيراً وسلبه محاسنه كما يقول ابن خلكان .

وذلك بعد ان ضجبه فلم يبلغ منه ما كان يرجوه فتركه
مغاضباً . وانا انقل هنا بعض ما ذكره ابو حيان من مثالب الصاحب
فانها لا تخلو من تفسكه اذا خلت من فائدة .

قال ابو حيان : كان الصاحب لا يرجع الى التأله والرقه
والرافة والرحمة والتاس كلهم يحجمون عنه لجرأته وسلطته
واقداره وبطشه . شديد العقاب طفيف الثواب طويل العتاب
بذي اللسان يعطي كثيراً قليلاً (يعني يعطي الكثير القليل)
مغلوب بجرارة الرأس سريع الغضب بعيد الفيئة قريب الطيرة
حسود حقود وحسده وقف على اهل الفضل وحقده سار الى اهل
الكفاية اما الكتاب والمتصرفون فيخافون سطوته واما المنتجعون
فيخافون جفوته وقد قتل خانقا واهلك ناساً ونفى امة نخوة وبنياً
وتجبراً وزهواً ومع هذا يخدعه الصبي ويخابه الفبي لان المدخل
عليه واسع والمأق الى سهل

وقال : يعمل الصاحب في اوقات كالعيد والفصل شعراً ويدفعه
الى ابي عيسى ابن المنجم ويقول له قد نحللتك هذه القصيدة امدحني
بها في جملة الشعراء وكن الثالث من المنشدين فيفعل ذلك ابو
عيسى وهو بغدادى مخنك قد شاخ على الخدائع وتمحك وينشد

فيقول له عند سماعه شعره في نفسه ووصفه بلسانه ومدحه
من تحبيرة اعد يا ابا عيسى فانك والله مجيد زه يا ابا عيسى قد صفا
ذهنك وجادت قريحتك وتنقحت قوافيك ليس هذا من الطراز
الاول حين انشدتنا في العيد الماضي ، مجالس تخرج الناس وتهب
لمم الذكاء وتزيدهم الفطنة وتحول الكودن عتيقا والمحر
جواداً . ثم لا يصرفه عن مجلسه الا بجائزة سنية وعطية هنيئة
وبغايط الجماعة من الشعراء وغيرهم لانهم يعلمون ان ابا عيسى لا
يقرض مصراعاً ولا يزن بيتاً ولا يذوق عروضاً .

قال يوما من في الدار ؟ فقبل له ابو القاسم الكاتب وابن
ثابت فعمل في الحال بيتين وقال لانسان بين يديه اذا اذنت لهذين
فادخل بعدهما بساعة وقل قد قلت بيتين فان رسمت لي الشاهما
انشدتها وازعم انك بدت بها ولا تجزع من تأفني بك ولا
تفزع من تكبري عليك ودفع البيتين اليه وامره بالخروج الى
صحن الدار واذن للرجلين حتى وصلا فلما جلسا وانسا دخل
الآخر على ثفيتهما ووقف للخدمة واخذ يتلمظ يري انه يقرض
شعراً ثم قال يا مولانا قد حضرني بيتان فان اذنت انشدت قال له
انت انسان اخرق سهيف لا تقول شيئاً فيه خير ا كفني امرك

وشعرك قال يا مولانا هي بديهي وان كسرتني ظلمتني وعلى كل
حال فاسمع فان كانا بارعين والافاعلمني بما تحب قال انت لحوح
هات فانشد :

يا ايها الصاحب تاج العلا لا تجعلني نزهة الشامت
بلمحد يكنى ابا قاسم ومجير يعزي الى ثابت
فقال : قاتلك الله لقد احسنت وانت مسيء . قال لي
ابن القاسم : وكدت انفقاً غيظاً لأني علمت انها من فعلاته
المعروفة وكان ذلك الجاهل لا يقرض بيتاً ثم حدثني الخادم
الحديث بقضه . والذي غلطه في نفسه وحمله على الإعجاب
بفضله والاستبداد برأيه اذ لم يجبه قط بتخطئة ولا قبول بتسوئة
لانه نشأ على ان يقال اصاب سيدنا وصدق مولانا والله دره ما
رأينا مثله من ابن عبد كان مضافاً اليه ومن ابن ثوابة نقيسه عليه
ومن ابراهيم بن العباس الصولي من صربع الغواني من اشجع
السلمي اذا سلك طريقهما قد استدرك مولانا على الخليل في
العروض وعلى ابي عمرو بن العلاء في اللغة وعلى ابي يوسف في
القضاء وعلى الاسكافي في الموازنة وعلى ابن نوبخت في الآراء
والديانات وعلى ابن مجاهد في القراءات وعلى ابن جرير في التفسير

وعلى ارسطاطاليس في المنطق وعلى الكندي في الجزو وعلى ابن سيرين في العبارة وعلى ابي العيناء في البديهة وعلى ابن نبي خالد في الخط وعلى الجاحظ في الحيوان وعلى سهل بن هرون في النقر وعلى يوحنا في الطب وعلى ابن زين في الفردوس وعلى عيسى بن كلب في الرواية وعلى الواقي في الحفظ وعلى النجار في البذل وعلى ابن ثوابة في التفتية وعلى السري السقطي في الخطرات والوساوس وعلى مزيد في النوادر وعلى ابي الحسن العروضي في استخراج المعنى وعلى بني برمك في الجود وعلى ذي الرئاستين في التدبير وعلى سطيح في الكهانة وعلى ابي الحياة خالد بن سنان في دعواه . هو والله اولى بقول ابي شريح اوس بن حجر التميمي في فضالة بن كدة ابي دليجة :

الامعي الذي يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
فتراه عند هذا المذر واشباهه يتلوى وبيتسم ويطير فرحاً به
وينقسم ويقول ولا كذي ثمرة السبق لهم وقصرنا ان نلحقهم او
نقفوا اثرهم وهو في ذلك يتشاجى ويتحايك ويلوي شدقه ويتبلع
ريقه ويرد كالأخذ ويأخذ كالتمنع ويفضب في عرض
الرضى ويرضى في ابوس الغضب وبتهاك وبتمالك وبتفانك

ويتمايل ويحاكي المومسات ويخرج في اصحاب السهجات وهو مع هذا يظن انه خاف على نقاد الاخلاق وجهابذة الاحوال وقد افسده أيضاً ثقة صاحبه به وتحويله عليه وقلة سماعه من الناصح فيه والله لو ان عجوزا بلهاء او امة ورهاء اقيمت مقامه لكانت الامور على هذا السياق لانه قد امن ان يقال له لم فعلت ولم لم تفعل وهذا باب لا يتفق لاحد من خدم الملوك الا يجد سعيد . ولقد نصح صاحبه المروى في اموال تاوية وامور من النظر عارية فقذف بالرقعة اليه حتى عرف ما فيها ثم قتل الرافع خنقاً هذا وهو يدين بالوعيد .

وقال لي الثقة من اصحابه، ربما شرع في امر يحكم فيه بالخطأ فيقلبه جده صواباً حتى كأنه عن وحي واسرار الله في خلقه عند الارتفاع والانحطاط خفية ولو جرت الامور على موضوع الرأي وفضيلة العقل لكان معلماً في مصطبة على شارع او في دارٍ لثانٍ فإنه يخرج الانسان بتفهيته ونشادقه واستحقاره واستكباره واعادته وابدائه وهذه اشكال تعجب الصبيان ولا تنفرهم عن المعلمين ويكون فرحهم به سبباً للملازمة والحرص على التعلم والحفظ والرواية والدراسة .

قال ابو حيان: و كان ابن عباد يقول للانسان اذا قدم عليه
من اهل العلم يا اخي تكلم واستانس واقترح وانيسط ولا ترع
واحسبني في جوف مربعة ولا يروعك هذا الحشم والخدم
والغاشية والحاشية وهذه المرتبة والمصطبة وهذا الطاق والرواق
وهذه المجالس والطنافس فان سلطان العلم فوق سلطان الولاية
فليفرخ روعك ولينعم بالك وقل ماشئت وابصر ما اردت
فلست تجد عندنا الا الانصاف والاسعاف والاتحاف والاطراف
والواهة والمقاربة والموانسة والمقايسة . ومن كان يحفظ
ما كان يهذي به في هذا وفي غيره ويجري في هذا الميدان
فيطيل حتى اذا استوفى ما عند ذلك الانسان بهذه الزخارف
والحيل وسار الرجل معه في حدوده على مذهب الثقة فحاجه
وضايقه وسابقه ووضع يده على النكتة الفاصلة والامر القاطع
تمر له وتغير عليه ثم قال يا غلام خذ بيد هذا الكلب الى
الجبس وضعه فيه بعد ان تصب على كاهله وظهره وجنبه خمسمائة سوط
وعصا فانه معاند ضد يحتاج ان يشد بالقد ساقط هابط كلب
وقاح اعجبه صبري وغره حلبي ولقد اخلف ظني وعدت على
نفسي بالتوبيخ وما خلق الله العصا باطلاً فيقام ذلك البائس

على هذه الحالة وليس الخبر كالعيان من لم يحضر ذلك المجلس
لم ير منظراً رفيعاً ورجلاً رفيعاً .

وقال ابو حيان: حدثني الجرباذقاني الكاتب ابو بكر وكان
كاتب داره قال يبلغ من سخنة عين صاحبنا انه لا يسكت عما
لا يعرف ولا يسالم نفسه فيما لا يفي به ولا يكمل له ويظن انه من
سكت فطن لنقصه وان احتال وموه جاز ذلك وخفي واستتر ولا يعلم
ان ذلك الاحتيال طريق الى الاغراء بمعرفة الحال وصدق القائل
كاد المرئيب يقول خذني . وقلت وما الذي حداك على هذه
المقدمة ؟ قال قال لي في بعض هذه الايام : ارفع حسابك
فقد اخرته وقصرت فيه وانتهزت سكوتي وشغلي بامر الملك
وسياسة الاولياء والجنود والرعايا والمدن وما علي من اعباء الدولة
وحفظ البيضة ومشاركة الاطراف النائية والدانية باللسان والعلم
والرأي والتدبير والبسط والقبض والتتبع والنفذ وما على قلبي
من الفكر في الاموال الظاهرة والباطنة وهذا باب لعمرى
مطمع ومساكي عنه مفر بالفساد مولع فبادر عافاك الله الى عمل
حساب بتفصيل باب باب يبين فيه امر داري وما دخل عليه
امر دخلي وخرجي . قلت له هذا كله بسبب قوله هات حسابك

بما نراعيه ؟ فقال أي والله ولقد كان أكثر من هذا ولقد
اختصرته . قال ابو بكر فتفردت اياماً وحررت الحساب على
قاعدته واصله والرسم الذي هو معروف بين اهله وحملته اليه فأخذه
من يدي وامراً عينيه فيه من غير تثبيت او فحص او مسأله فحذف
به اليّ وقال : اهذا حساب ؟ اهذا كتاب ، اهذا تحرير ، اهذا
تقرير ، اهذا تفصيل ، اهذا تحصيل ، والله لولا اني ربيتك في
داري ، وشغلت بتخريجك ليبي ونهاري ، ولك حرمة الصبي ،
ويلزمني رعاية الآباء ، لاطعمتك هذا الطومار ، واحرقتك
بالنفط والقار ، وادبت بك كل كاتب وحاسب ، وجعلتك مثله
لكل شاهد وغائب ، امثلي يموه عليه ؟ ويطمع فيما لديه ، وانا
خاقت الحسابة والكتابة ، والله ما انام ليلة الا واحصل في نفسي
ارتفاع العراق ، ودخل الآفاق ، اغرك مني أني اجررت
رسنك ؟ واخفيت قبيحك وابديت حسنك ، غير هذا الذي
رفعت ، واعرف قبل وبعد ما صنعت ، واعلم انك من الآخرة
قد رجعت ، فزد في صلاتك وصدقتك ، ولا تعول على قنك
وصلاية حدقتك . قال فوالله ما هالني كلامه ولا احاك في
هديانه لاني كنت أعلم جهله في الحسابة ونقصه في هذا الباب .

فذهبت وافسدت واخرت وقدمت وكابرت وتعمدت ثم
رددته اليه فنظر فيه وضحك في وجهي وقال : احسنت بارك
الله عليك هكذا اردت وهذا بعينه طلبت لو تغافلت عنك في اول
الامر لما تيقظت في الثاني . فهذا كما ترى اعجب منه كيف شئت .
وقال ابو حيان : قال لي علي بن الحسن الكاتب هجري في
« صاحب » في بعض الايام هجراً اضربني وكشف مستور
حالي وذهب علي امري ولم اهدد الى وجه حيلة في مصلحتي وورد
المهرجان فدخلت عليه في غمار الناس فلما انشد نوبتين تقدمت
فانشدت فلم يهش لي ولم ينظر الي و كنت ضمنيت ابياتي بيتاً له
من قصيدة علي روي قصيدتي فلما مرَّ به البيت هب من كسله
ونظر الي كالمنكر علي فطأطأت رأسي وقلت بصوت خفيض
لا تلم ولا تزدد في القرحة فما علي محمل وانما سرقت هذا من قافيتك
لازيم به قافيتي وانت بحمد الله تجود بكل علق ثمين وتهب كل
در مكنون اترك تشاخي على هذا القدر وتفضحني في هذا
المشهد ؟ فرفع رأسه وصوته وقال : يا بني اعد هذا البيت فاعدته
فقال : احسنت يا هذا ارجع الى اول قصيدتك فقد سهونا عنك
وطار الفكر بنا الى شأن آخر والدنيا مشغلة وصار ذلك

ظلمنا بغير قصد منا ولا نعمد . قال فاعدتها وامررتها وفغرت فمي بقوافيها فلما بلغت آخرها قال : أحسنت الزم هذا الفن فإنه حسن الديباجة وكان المجتري استخلفك واكثر بحضرتنا وارنفع بخدمتنا وابذل نفسك في طاعتنا نكن من وراء مصالحك باداء حقتك والجذب بضبعك والزيادة في قدرك على اقرانك . قال فلم اربعد ذلك الا الخير حتى عراه ملل آخر فوضعتني في الحبس سنة وجمع كتبي فاحرقها بالنار وفيها كتب الفراء والكسائي ومصاحف القرآن واصول كثيرة في الفقه والكلام فلم يميزها من كتب الاوائل وامر بطرح النار فيها من غير تثبيت بل لفرط جهله وشدة نزقه فهلا طرح النار في خزائنه وفيها كتب ابن الراوندي وكلام ابن ابي العوجاء في معارضة القرآن بزعمه وصالح بن عبد القدوس وابي سعيد الحصري وكتب ارسطاطاليس وغير ذلك ولكن من شاء حمق نفسه .

وقال الصاحب يوماً : صدر قول الشاعر ؟

والمورد العذب كثير الزحام

فسكمت الجماعة فقال ابن الداري :

يزدحم الناس على بابيه

فأقبل عليه بغيظ وقال ما عرفتك الا متعجرفاً جاهلاً اما
كان لك بالجماعة اسوة؟

وعن ابي حيان : لقد بلغ من ركا كته (الصاحب) انه
كان عنده ابو طالب العلوي فكان اذا سمع منه كلاماً يسجع
فيه وخبراً ينمقه ويرويه يبلق عينيه وينشر منخريه ويرى انه
قد لحقه غشي حتى يرش على وجهه ماء الورد فاذا افاق قيل
وما اصابك ما عراك ما الذي نالك وتغشاك؟ فيقول ما زال كلام
مولاي يروني و يوتني حتى فارقتني لي وزابطني عقلي وانشرت
مفاصلي وتخاذلت عرى قلبي وذهل ذهني وحيل بيني وبين رشدي
فيتهلل وجه ابن عباد عند ذلك ويتنفس ويضحك عجباً وجهلاً ثم
يأمر له بالحباء والتكرمة ويقدمه على جميع بني ابيه وعمه . ومن
ينخدع هكذا فهو بالنساء الرعن اشبه وبالصبيان الضعاف امثل .
مرّ بك ان الصاحب تأثم من ان يجرب شراباً مشكوكاً
بسمه بدجاجة لان التمثيل بالحيوان غير جائز وانه رغب الى نخر
الدولة ان يعفيه من الوزارة للتوفر على امر المعاد ومع ذلك فقد
روى الوزير ظهير الدين في كتابه ذيل تجارب الامم ان نخر
الدولة لما انتظم له الامر عمل هو والصاحب جميعاً على اخذ على بن

كامه والاستيلاء على ماله واعماله وعلما انها لا يقدر ان عليه لجلالة
قدره فعذلا الى اعمال الحيلة في امره واجتمع رأبها على موافقة
شرايبي كان له على سمه فتوصلا اليه وقررا امور ذلك وانفق ان
علي بن كامه عمل دعوة واحتفل فيها واحتشد وسأل نخر الدولة
والصاحب الحضور عنده فواعدها بذلك وراسلا الشرايبي بفعل
ما تقرر معه في هذا اليوم واعطياه سماً موجباً. ودخل علي بن كامه
خزانة الشراب يتخير الاشربة ويذوقها فطرح الشرايبي السم في
بعض ما ذاقه فاحس في الحال باضطراب جسمه فدخل بيتاً
وطرح نفسه فيه والتقى عليه كساء وعلم نخر الدولة خبره فتأخر
عن الحضور .

قال الوزير ظهير الدين : وليس العجب من نخر الدرلة في سم
الرجل كالعجب من صاحب الذي سأل بالامس في الاذن له
في ملازمة داره والتوفر على امر المعاد .

ولا يمكن تفسير ذلك الا بانه احدى الضرورات السياسية
التي تتعدى حدود الدين والعدل والانسانية . وفي عصرنا من رجال
السياسة من يهون عليه سم امة باسرها لا سم فرد منها .

اخبار الصحاب

شعراؤه

لم يجتمع بباب وزير ما اجتمع بباب الصحاب من الشعراء
ولم يمدح احد بمقدار ما مدح به من القصائد قال ابن بابك سمعت
الصحاب يقول: « مدحت والعلم عند الله بمائة الف قصيدة شعرا
عربية وفارسية وقد انفقت اموالي على الشعراء والادباء والزوار
والقصاد ما سررت بشعر ولا سرني شاعر كما سرني ابو سعيد
الرستمي الاصفهاني بقوله :

ورث الوزارة كابرآ عن كابر مرفوعة الاسناد بالاسناد
يروى عن العباس عبادوزا رنه واسماعيل عن عباد»
وقال الثعالبي : « احتف به من نجوم الارض وافراد
العصر وابناء الفضل وفرسان الشعر من يرابي عددهم على شعراء
الرشيد ولا يقصرون عنهم في الاخذ برقاب القوافي وملك رق
المعاني فانه لم يجتمع بباب احد من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع
بباب الرشيد من فحولة الشعراء المذكورين كابي نواس وابي
العتاهية والعتابي والنمري ومسلم بن الوليد وابي الشيص ومروان

ابن ابي حفصة ومحمد بن مناذر وجمعت حاضرة الصاحب باصبيان
والري وجرجان مثل ابي الحسن السلامي وابي بكر الخوارزمي
وابي طالب المأموني وابي الحسن البديهي وابي سعيد الرستمي
وابي القاسم الزعفراني وابي العباس الضبي والقاضي الجرجاني
وابي القاسم بن ابي العلاء وابي محمد الخازن وابي هاشم العلوي
وابي حسن الجوهري وبني المنجم وابن بابك وابن القاشاني وابي
الفضل الهمداني واسماعيل الشاشي وابي العلاء الاسدي وابي
الحسن الغويري وابي دلف الخزرجي وابي حفص الشهرزوري
وابي معمر الاسمعيلى وابي الفياض الطبري وغيرهم ممن لم يبلغني
ذكرهم او ذهب عني اسمه ومدحه مكتبة الشريف الرضي الموسوي
وابو اسحق الصابي وابن حجاج وابن سكرة وابن نباتة»

وقال : حدثني ابو عبد الله محمد بن حاتم الحامدي قال عهدي
بابي محمد الخازن مائلا بين يدي الصاحب ينشده قصيدة له فيه اولها :
هذا فؤادك نهبي بين اهواء وذلك رأيتك شورى بين آراء
هواك بين العيون النجل مقتسم داء لعمرك ما ابلاه من داء
لا تستقر بارض او تسير الى أخرى بشخص قريب عزمناه
يوماً بنزوى ويوماً بالعقيق وبأ مديب يوماً ويوماً بالخليصاء

وقارة تنتحي نجداً وآونة شعب العقيق وطوراً أقصر تيماء
قال فرأيت الصاحب مقبلاً عليه بمجامعه حسن الاصغاء الى
انشاده مستعيداً اكثر ابيانه مظهرآ من الاعجاب به والاهتزاز
له ما يعجب الحاضرين فلما بلغ الى قوله :

ادعى باسماء نيزا في قبائلها كأن اسماء اوضحت بعض اسمائي
اطلعت شعري والقت شعرها طرباً فانما بين اصباح وامساء
زحف عن دسته طرباً فلما بلغ قوله في المدح :

لو ان سحبان باراه لاسحبه على خطابه اذيال فأفاه
ارى الاقاليم قدالقت مقالدها اليه مستبقات اي القاء
فساس سبعتها منه باربعة امر ونهي وثبيت وامضاء
كذلك توحيد الهوى باربعة كفر وجبر وتشبيه رارجاء
جعل يحرك رأس مستحسن فلما انشد :

نعم تجنب لا يوم العطاء كما تجنب ابن عطاء لثغة الرء
استعاده وصفق يديه ولما ختمها بهذه الابيات :

اطري واطرب بالاشعار انشدها احسن بهجة اطراي واطرائي
ومن مناخ مولانا مدائحه لان من زنده قدحي وايرائي
نغذالك ابن عباد محبرة لا البهتري يدانيها ولا الطائي

قال احسنت احسنت والله انت وتناول النسخة وتشاغل باعارته
نظره ثم امر له بخلعة وحملان وصلة .

و كان من عادة الصاحب ان يقترح على شعرائه النظم في
مواضيع بعينها لهم في الجد والهزل وفي ذلك من استجاشة القرائح
للنهوض بالادب ما فيه كأقتراحه عليهم وصف الدار التي بناها
في اصبهان ووصف القيل الذي حصل عليه في واقعة جرجان وقد
سبقت الاشارة اليها في موضعها . ومن المواضيع الهزلية التي اقترح
على شعرائه نظمها رثاء بردون ابي عيسى ابن المنجم وقد سمي الثعالي
هذه القصائد البرذونيات قال في يتيمة الدهر^(١) : لما نفق بردون
ابي عيسى ابن المنجم باصبهان و كان اصدى قد حمله الصاحب
عليه وطالت صحبته له او عز الصاحب الى الندماء المقيمين في جملته
ان يعزوا ابا عيسى ويرثوا اصداه فقال كل منهم قصيدة فريدة .
ثم نقل قصيدة ابي القاسم الزعفراني و ابي الحسن الجرجاني و ابي
القاسم بن ابي العلاء و ابي الحسن السلامي و ابي محمد الخازن و ابي
سعيد الرستمي و ابي العباس الضبي و ابي دلف الخزرجي و ابي محمد
محمود و ابي عيسى وغيرهم .

وترى كثيراً من القصائد التي مدح بها في الجزء الثالث من
بتيمة الدهر للثعالبي وهو مع ذلك لم يسلم من الهجاء قال ياقوت
في معجم الادباء قال بعض الشعراء في ابن عباد يذم سبجه
وخطه وعقله .

متلقب كافي الكفاة وانما هو في الحقيقة كافر الكفار
السجع سجع مهوس والخط خط منقرس والعقل عقل حمار
وقال ابو العلاء الاسدي يهجوهُ :

اذا رأيت مسجى في مرقعة ياوي المساجد حراضره بادي
فاعلم بان الفتى المسكين قد قذفت به الخطوب الى لوم ابن عباد
وقال ابو بكر الخوارزمي :

لا تحمدن ابن عباد وان هطلت كفاه يوماً ولا تذمه ان حرما
فانها خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما
فلامات الخوارزمي بلغ الصاحب وفاته فقال :

اقول لركب من خراسان رائح امات خوارزميكم قيل لي نعم
فقلت اكتبوا بالحص من فوق قبره الالعن الرحمن من كفر النعم

الصاحب و ابو حيان التوحيدي

مائة الف قصيدة مدح بها الصاحب ومئات من الشعراء^(١)
يطوفون بسدنه مشيدين بفضله ومثلهم من شعراء الاقطار
يتغنون بمدحهم على بعد الديار ولكن هذا كله لم يرفع من ذكره
بمقدار ما وضع من شأنه ابو حيان التوحيدي في كتابه مثالب
الوزيرين «ابن العميد والصاحب ابن عباد» فان البقية الباقية
من هذا الكتاب فرت جلد الصاحب وكسته سبة الدهر وجعلته
هزأة واعجوبة في الرقاعة وكانت محنة الصاحب بابي حيان من
اسوأ المحن^(٢)

قال ابو حيان : واما حديثي معه يعني مع ابن عباد فاني حين
وصلت اليه قال لي ابو من ؟ قلت ابو حيان فقال بلغني انك
تأدب فقلت تأدب اهل الزمان فقال ابو حيان ينصرف اولاً

(١) قال الصاحب مدحت بمائة الف قصيدة وقال ياقوت في معجم الادباء :
مدح الصاحب ابن عباد خمسمائة شاعر من ارباب الدواوين ج ٢ ص ٣١٤
(٢) قال ياقوت في معجم الادباء : كان ابو حيان قصداً ابن عباد الى الري
فلم يرزق منه فرجع عنه ذاماله وكان ابو حيان محبوباً على الغرام بثلب
الكرام ج ٢ ص ٢٨٢

ينصرف قلت ان قبله ، ولانا لا ينصرف فلما سمع هذا تنمر
وكأنه لم يعجبه واقبل على واحد الى جانبه وقال له بالفارسية
سفها على ما قيل لي ثم قال الزم دارنا وانسخ هذا الكتاب فقلت
انا سامع مطيع . ثم اني قلت لبعض الناس في الدار مسترسلا
انما توجهت من العراق الى هذا الباب وزاحمت متجعي هذا الربيع
لا تخلص من حرفة الشووم فان الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة
ففسى اليه هذا او بهضه او على غير وجهه فزاده تنكرا .

قال ابو حيان : طلع ابن عباد على يوماً في داره وانا قاعد
في كسر ايوان اكتب شيئاً قد كان كادني به فلما ابصرته قمت
قائماً فصاح بجليق مشقوق اقعده فالوراقون اخس من ان يقوموا لنا
فهميت بكلام فقال لي الزعفراني الشاعر اسكت فالرجل رقيق
فغلب علي الضحك واستحال الغيظ تعجباً من خفته وسخفه لانه
كان قد قال هذا وقد لوى شذقه وشنج انفه وامال عنقه واعترض
في انتصابه وانتصب في اعتراضه وخرج في انفكك مجنون قد افلت
من دير حنون والوصف لا يأتي على كنه هذه الحال لان حقائقها
لا تدرك الا باللحظ ولا يوتى عليها باللفظ .

وقال ابو حيان : قال الصاحب يوماً فعل وافعال قليل

وزعم النحويون انه ما جاء الا زناد وازناد وفرخ وافراخ وفرد
وافراد فقلت له انا احفظ ثلاثين حرفاً كلها فعل وافعال فقه ال
هات يا مدعي فسردت الحروف ودلت على مواضعها من الكتب
ثم قلت ايس للنحوي ان يلزم مثل هذا الحكم الا يد التبحر
والسمع الواسع وليس للتقليد وجه اذا كانت الرواية شائعة
والقياس مطرداً وهذا كقولهم فعيل على عشرة اوجه وقد وجدته
انا يزيد على اكثر من عشرين وجهاً وما انتهيت في التبع الى
اقصاه . فقال خروجك من دعواك في فعل يدلنا على قيامك في
فعل ولكن لا نأذن لك في اقتصاصك ولا نهب آذاننا لكلامك
ولم يف ما اتيت به بجرأتك في مجلسنا ونبسطك في حضرنا .
وقال ابو حيان قال لي ابن عباد يوماً يا ابا حيان من كذاك بابي
حيان قلت اجل الناس في زمانه واكرمهم في وقته قال ومن هو وويلك
قلت انت قال ومتى كان ذلك قلت حين قلت يا ابا حيان من كذاك
اباحيان فاضرب عن هذا الحديث واخذني غيره على كراهة ظهرت
عليه . قال وقال لي يوماً آخر وهو قائم في صحن داره والجماعة
قيام منهم الزعفراني وكان شيخاً كثير الفضل جيد الشعر ممتع
الحديث والتميمي المعروف بسطل وكان من مصر والاقطع

وصالح الوراق وابن ثابت وغيرهم من الكتاب والندماء يا أبا
حيان هل تعرف فيمن تقدم من بكنى بهذه الكنية قلت نعم من
أقرب ذلك أبو حيان الدارمي حدثنا أبو بكر محمد بن محمد القاضي
الدقاق قال حدثنا ابن الأنباري قال حدثنا أبي قال حدثنا ابن ناصح قال
دخل أبو الهذيل العلاف على الواثق فقال له الواثق لمن تعرف
هذا الشعر :

مباك من هاشم سليل ليس الى وصله سبيل
من يتعاط الصفات فيه فالتقول في وصفه فضول
للحسن في وجهه هلال لا عين الخلق لا يزول
وطرة ما يزال فيها لنور بدر الدجى مقيل
ما اختال في صحن قصر اوس الا ليسجى له قتيل
فان يقف فالعيون نصب وان تولى فهن حول
فقال ابو الهذيل يا أمير المؤمنين هذا الرجل من اهل البصرة
يعرف بابي حيان الدارمي وكان يقول بامامة المفضول وله من
كلمة يقول فيها :

افضله والله قدمه على صحابته بعد النبي المكرم
يلا بغضة والله مني لغيره واجكته اولاهم بالتقدم

وجماعة من اصحابنا قالوا أنشد ابو قلابة عبد الله بن محمد
الرقاشي لابي حيان البصري :

يا صاحبي دعا الملام واقصرا ترك الهوى يا صاحبي خساره
كم لت قلبي كي يفيق فقال لي لجت يمين مالها كفاره
الا افيق ولا افتقر لحظة ان انت لم تعشق فانت حجاره
الحب اول ما يكون بنظرة وكذا الحريق بداؤه بشراره
يا من احب ولا اسمي باسمها اياك اعني فاسمعي يا جارم
فلما وفيت الشعر ورويت الاسناد وربقي بليل ولساني طلق
ووجهي متهلل وقد تكلفت هذا وانا في بقية من غرب الشباب
وبعض ريعانه وملأت الدار صياحبالرواية والقافية فحين انتهيت
انكرت طرفه وعلمت سوء موقع ما رويت عنده . قال ومن
تعرف ايضاً ؟ قلت روى الصولي فيما حدثنا عنه المرزباني ان
معاوية لما احتضر انشد يزيد عند رأسه ممثلاً :

لو ان حيا نجاة لقات ابو حيان لا عاجز ولا وكل
الحول القلب الارب وهل يدفع صرف المنية الخيل
قال الصولي وهذا كان من المعمرين المغفلين وانتهى الحديث
من غير مشاشة ولا هزة ولا اريحية بل على اكفهرار وجه ونبو

طرف وقلة تقبل . وجرت اشياء اخر كان عقباها اني فارقت به
بابه سنة ٣٧٠ راجعاً الى مدينة السلام بغير زاد ولا راحلة ولم
يعطني في مدة ثلاث سنين درهما واحداً ولا ما قيمته درهم
واحد احمل هذا على ما اردت ولما نال مني هذا الحرمان الذي
قصدي به واحفظني عليه وجعلني من جميع حاشيته فرداً اخذت
املاً في ذلك بصدق القول عنه وسوء الثناء عليه والبادئ اظلم
وللامور اسباب وللاسباب اسرار والغيب لا يطلع عليه ولا
قارع لبابه .

وقال ابوحيان : قال لي الصاحب يوماً وهو يتحدث عن رجل
اعطاه شيئاً فلما في قبوله « ولا بد من شيء يعين على الدهر »
ثم قال : سألت جماعة عن صدر هذا البيت فما كان عندهم . قلت
انا احفظ ذلك ، فنظر بغضب فقال : ما هو ؟ قلت نسيت ، فقال
ما اسرع ذكرك من نسيانك ، قلت ذكرته والحال سليمة
فلما استحال عن السلامة نسيت ، قال وما حيلولتها ؟ قلت نظر
الصاحب بغضب فوجب في حسن الادب الا يقال ما يثير الغضب
قال ومن تكون حتى تغضب عليك دع هذا وهات . قلت
قول الشاعر :

الام على اخذ القليل وانما اصادف اقواماً أقل من الذر
فان انا لم آخذ قليلاً حرمة ولا بد من شيء يعين على الدهر
فسكت .

قال ابو حيان عند قر به من فراغ كتابه في ثلب الوزير من
وقد حكى عن ابن عباد حكايات واسندها الى من اخبره بها
عنه ثم قال : فما ذنبي اكرمك الله اذا سألت عنه مشايخ الوقت
واعلام العصر فوصفوه بما جمعت لك في هذا المكان على اني قد
سترت شيئاً كثيراً من مخازيه اما مر با من الاطالة أو صيانة للقلم
عن رسم الفواحش وبث الفضائح وذكر ما يسمع مسموعه وبكره
التحدث به هذا سوى ما فاتني من حديثه فاني فارقت سنة ٣٧٠ .
وما ذنبي ان ذكرت عنه ماجر عنيه من مرارة الخيبة بعد الامل
وحلني عليه من الاخفاق بعد الطمع مع الخدمة الطويلة والوعد
المنصل والظن الحسن حتى كأني خصصت بخساسته وحدي او
وجب ان اعامل به دون غيري . قدم الي نجاح الخادم وكان
ينظر في خزائنه كتبه ثلاثين مجلدة من رسائله وقال يقول لك
مولانا انسخ هذا فانه قد طلب منه بخراسان فقلت بعد ارتياع :
هذا طويل ولكن لو أذن لي لخرجت منه فقراً كالغرر وشذوراً

كالدرر ندور في المجالس كالشاهات والدستبويات لو رقي بها
مجنون لأفاق او نفت على ذي عاهة لبري لامل ولا نستغث ولا
تعاب ولا نسترك . فرفع ذلك اليه وانا لا أعلم فقال طعن في
رسائلي وعابها ورغب عن نسخها وازرى بها والله اينكرن مني
ما عرف وليعرفن حظه اذا انصرف ؛ حتى كأني طعنت في
القرآن أورميت الكعبة بمخرق الحيض أو عقرت ناقة صالح او
سلحت في بئر زمزم أو قلت كان النظام ما بونا أو مات أبو هاشم
في بيت خمار أو كان عباد معلم صبيان . وما ذنبي يا قوم اذا لم أستطع
أن أنسخ ثلاثين مجلدة من هذا الذي يستحسن هذا الكلب حتى
أعذره في لومي على الامتناع اينسخ انسان هذا القدر وهو يرجو
بعدها أن يمتع الله ببصره أو ينفعه ببدنه . ثم ما ذنبي اذا قال لي
من أين لك هذا الكلام المفوف المشوف الذي تكتب به الي في
الوقت بعد الوقت ؟ فقلت وكيف لا يكون كما وصف وأنا
أقطف ثمار رسائله واستقي من قلب علمه واشيم بارقة أدبه وارد
ساحل بحره واستوكف قطر مزنه . فيقول كذبت وفجرت
لا أم لك ومن أين في كلامي الكدية والشجذ والتضرع
والاسترحام كلامي في السماء وكلامك في السهاد . هذا أيدك الله

وان كان دليلاً على سوء جدي فانه دليل أيضاً على انخلاقه
وخرقه وتسرعه ولوومه .

بل ما ذنبي اذا قال لي هل وصلت الى ابن العميد ابي الفتح
فاقول نعم رأيتك وحضرت مجلسه وشاهدت ما جرى له وكان
من حديثه فيما مدح به كذا وكذا وفيما تقدم منه كذا وكذا
وفيما تكلفه من تقديم أهل العلم واختصاص أرباب الأدب كذا
وكذا ووصل أباسعيد السيرافي بكذا وكذا ووهب لأبي
سليمان المنطقي كذا وكذا فينزوي وجهه وينكر حديثه
وينجذب الى شيء آخر ليس مما شرع فيه ولا مما حرك له ثم
يقول اعلم انك انما انتجعتك من العراق فاقرأ علي رسالتك التي
توسلت اليه بها واسهبت مقرظاً له فيها فاتمانع فيأمر ويشدد
فاقرأها فيتغير ويذهل . ثم يقال لي من بعد جنبيت على نفسك
حين ذكرت عدوه عنده بخير واثنت عليه وجعلته سيد الناس .
وقال ابو حيان : وكان ابن عباد شديد الحسد لمن أحسن
القول واجاد اللفظ وكان الصواب غالباً عليه وله رفق في سرد
حديث ونيقة في رواية له وله شمائل مخلوطة بالدماثة بين الاشارة
والعبارة وهذا شيء عام في البغداديين وكالخاص في غيرهم .

حدثت ليلة بجديث فلم يملك نفسه حتى ضحك واستعاده ثم قيل لي بعده انه كان يقول قاتل الله أبا حيان فانه نكد وانه وانه واكره ان اروى ذي بقلبي وكان ذلك كله حسداً وغيظاً بحتاً .
وحكى ابو حيان قال : حضرت مائدة الصاحب ابن عباد فقدمت مضيرة فامعنت فيها فقال لي يا أبا حيان انها تضر بالمشايخ فقلت ان رأى الصاحب ان يدع التطيب على طعامه فعل فكأنني القمته حجراً وخجل واستحيا ولم ينطق الى ان فرغنا .

الصاحب والهاشمي الاعشى

كان الصاحب في صغره اذا اراد المضي الى المسجد ليقرأ أعطته أمه ديناراً ودرهماً في كل يوم وقالت له تصدق بهذا على اول فقير تلتقاه فكان هذا دأبه في شبابه الى ان كبر فصار يقول للفراش كل ليلة اطرح تحت المطرح ديناراً ودرهماً لثلاث نساء فبقي على هذا مدة ثم ان الفراش نسي ليلة من الليالي ان يطرح له الدرهم والدينار فانتبه وصلى وقلب المطرح ليأخذ الدرهم والدينار ففقدتهما فتطير من ذلك وظن انه لقرب اجله فقال للفراشين خذوا كل ما هنا من الفراش واعطوه لأول فقير تلتقونه حتى

يكون كفارة لتأخير هذا فلقوا اعمى هاشمياً على يد امرأة فقالوا
تقبل هذا فقال ما هو فقالوا مطرح ديباج ومخاد ديباج فاغمي عليه
فاعلموا الصاحب بامرء فاحضره ورش عليه ماء فلما أفاق سأله
فقال اسألوا هذه المرأة ان لم تصدقوني فقالوا له اشرح فقال انا
رجل شريف لي ابنة من هذه المرأة خطبها رجل فزوجناه ولي
سنتان آخذ القدر الذي بفضل عن قوتنا اشتري لها به جهازاً فلما
كان البارحة قالت امها اشتيت مطرح ديباج ومخاد ديباج
فقلت من أين لي ذلك وجري بيني وبينها خصومة الى ان
سألته ان تأخذ بيدي وتخرجني حتى امضي على وجهي . فلما
قال لي هؤلاء هذا الكلام خق لي ان يغشى عليّ . فقال
الصاحب لا يكون الديباج الا مع ما يليق به ثم اشترى له جهازاً
يليق بذلك المطرح واحضر زوج الصبية ودفع اليه بضاعة سنية^(١)

هو ودينار المجوسي

قال ياقوت : حدث الوزير ابو العلاء بن حسولي قال
كان دينار المجوسي صدرا في ديوان الري وكان مدترا مدرهما

(١) بغية الوعاة للسيوطي ص ١٩٦

ممولاً فكتب رجل إلى الصاحب :
لم لا يفرق في ديوان عسكره كافي كفاة الوري دينار دينار
فان ايسر ما في قطع شافته تطهير ديوانه من عابدي النار
ققبض عليه وصادره واستوفى منه مالاً عظيماً والسبب في
ذلك البيتان .

هو ومتشاعر

انتحل بعض المتشاعرين بحضرة الصاحب شعراً له وبلغه
ذلك فقال ابلغوه عني :

سرفت شعري وغيري يضم فيه ويخدع
فسوف اجزيك صفعاً يكد رأساً واخدع
فسارق المال يقطع وسارق الشعر يصفع
فاتخذ الليل جملاً وهرب من الري



علمه وادبه

اراد الصاحب ان يسير على سنن استاذه ابن العميد حذو القذة بالقذة في السياسة والعلم والادب فكان له ما اراد وفوق ما اراد في العلوم الشرعية واللسانية واخطاه التوفيق في علوم الحكمة كما انه قصر عن شأوا ابن العميد في المواهب الفطرية كالرفق والكياسة وبعد النظر في امور السياسة .

فاق الصاحب استاذه ابن العميد في العلوم الشرعية فقد كان طويل الباع في الحديث فانه سمع الحديث واملى . قال السمعاني في كتاب الانساب : سمع الصاحب الاحاديث من الاصمهانيين والبغداديين والرازيين وحدث و كان يمحث على طلب الحديث و كتابته ثم روى عن ابن مردويه انه سمع الصاحب يقول من لم يكتب الحديث لم يجد حلاوة الاسلام .

وقال ابو الحسن علي بن محمد الطبري الكيا : لما عزم الصاحب ابن عباد على الاملاء وهو وزير خرج يوماً متطلساً تحنكاً بزي اهل العلم فقال قد علمتم قلمي في العلم فاقرؤا له بذلك فقال وانا متلبس بهذا الامر وجميع ما انفقته من صغري الى وقتي هذا من

مال ابي وجدي ومع هذا فلا اخلو من تبعات اشهد الله واشهدكم
اني تائب الى الله من ذنب اذنبته . واتخذ لنفسه بيتاً وسماه بيت
التوبة ولبث اسبوعاً على ذلك ثم اخذ خطوط الفقهاء بصحة توبته
ثم خرج فقعده للاملاء وحضر الخلق الكثير وكان المستملي
الواحد ينضاف اليه ستة كل يبلغ صاحبه فكتب الناس حتى
القاضي عبدالجبار .

وكان صاحب بقول شاركت الطبراني في اسناده ويقال
انه نال من البخاري وقال هو حشوي لا يعول عليه . وكان
يقتبس من الحديث في شعره كقوله :

ومهمف يفني عن القمر	قمر الفؤاد بفاتن النظر
خالسته نفاح وجنته	من غير ابقاء ولا حذر
فاخافني قوم فقلت لهم	(لاقطع في ثمر ولا كثر ^(١))

وقوله :

قال لي ن رقيب	سئ الخلق فداره
قلت دعني وجهك (الجنة	ة حفت بالكاره)

(١) الكثر بفتحين جُمَّار النخل وهو شحمه الذي في وسط النخلة .

النهاية لابن الأثير .

وقوله :

اقول وقد رأيت له سحابا من الهجران مقبلة اليها
وقد سحت عز اليها بهطل (حوالي الصدود ولا علينا)
واهدي اليه هدية اهدى منها الى ابي سعيد الشيبلي وكتب
معها رقعة مصدرة بهذا البيت :
رويت في السنة المشهورة البركة ان الهدية في الاخوان مشتركة
وكان عالماً بالتوحيد والاصول والف فيها ، من ذلك
كتاب مختصر اسماء الله تعالى وصفاته وكتاب نهج السبيل
في الاصول وكتاب الامامة في تفضيل علي بن ابي طالب
وتصحيح امامة من تقدمه وكتاب الزيدية .
وكان ذا بصر بالخلاف بين الفرق والائمة قال ابن العماد في
شذرات الذهب : قال صاحب في وصف الائمة الثلاثة المتعاصرين
الباقلا في نار محرق وابن فورك صل مطرق والاسفرائيني بحر مغرق
قال ابن عساكر كأن روح القدس نفث في روعه بحقيقة حالهم .
وكذلك فقد كانت للصاحب مشاركة في التاريخ ولا
بدع فالتاريخ من اعظم عناصر الادب وله فيه مؤلفات ذكرها
ياقوت في معجم الادباء وهي : كتاب المعارف في التاريخ وكتاب

الوزراء و كتاب اخبار ابي العيناء و كتاب تاريخ الملك واختلاف
الدول و كتاب الزيدين .

اما علمه باللغة فربما كان اجل علومه واوسعها فقد ألف باللغة
كتاب المحيط في عشرة مجلدات و كتاب جوهرة الجهرة . وهو
معدود من الثقات في رواية اللغة وقد جعله الثعالبي احد ائمة اللغة
الذين اعتمد عليهم في كتابه فقه اللغة امثال الليث والخليل بن
احمد وسيبويه وخلف الاحمر و ثعلب والاصمعي وابن الكلبي وابن
دريدواشباههم وروى عنه في ذلك الكتاب فصل ترتيب الشرب
وباب الحجارة^(١) وعده الانباري من علماء اللغة فافرد له ترجمة
في كتابه طبقات الادباء النحاة و كذلك السيوطي ترجم له في
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .

ولقد زين له علمه بغريب اللغة ان يغرب في بعض احاديثه
اغرابا يدل على شدة التنطع وانقعر قال ابو حيان التوحيدي
قال الخليلي سمعت الصاحب ابن عباد يقول للتميمي الشاعر كيف
نقول الشعر وان قلت كيف تجيد وان اجدت فكيف تغزر
وان غزرت فكيف تروم غاية وانت لا تعرف ما الزهزيق .

(١) ص ١٦٨ و ٣٠٥ من فقه اللغة

وما الهبلع وما العثلط وما الجمللع وما القهقب وما القهبلس وما
الخيسوب وما الخزعبلة وما القذعملة وما العرموط وما الجرقاس وما
اللؤومس وما النعثل وما الطريال وما الفرق بين العرم والردم
والخدم والحذم والقضم والحضم والنضح والرضح والقضم والقضم
والقصع والقصع وما العبنقس وما العكنفس وما الوكال
والرومل وما الحيتعور واليستعور وما الستعون وما الجردون
وما الخزون وما الفقندر وما الجمليل قال الشاعر :

جاءت بخنف وحنين ورحل جاءت تمشي وهي قدام الابل
مشي الجميلية بالخرق النقل

ورأيت بعض الجهال يصحف ويقول « وحنين وزجل »
قال أبو حيان قلت للخليلي من عني بهذا قال ابن فارس معلم
ابن العميد أبي الفتح قال الخليلي فهذا الضرب من الكلام يجب
ان يفتخر بمثله ويتدقق به ؟ انك يا ابا حيان لو رأته بمشي وهو
يهذي بهذا وشبهه وبتفهيق ويلوي شذقيه عليه وبقذف بالبصاق
على اهل المجلس لحدث الله على العافية مما يلي هذا الرجل به .
وبعد فما بين الشاعر وهذا الضرب الشاعر يطلب لفظاً حراً
ومعنى بديعاً ونظماً حلوا وكلمة رشيقة ومثلاً سهلاً ووزناً مقبولاً .

على ان صاحب لم يكن يستعمل مثل هذا في رسائله أو
في شعره بل كان مشهوراً باختيار اللفظ المأنوس السهل على
طريقة ابن العميد فاذا صحت رواية ابي حيان كانت على سبيل
ادلال صاحب بمعرفة غريب اللغة ووحشيتها .

وكان صاحب ذا قدم راسخة في علم العروض وقد الف
فيه كتابين الاقناع في العروض وكتاب نقض العروض .
هذا ومع انه كان مأخوذاً بعلوم العرب وأدبهم ومعروفاً
بانهرافه عن الفلسفة والعلوم الدخيلة فان آثاره تدل على ان في
ثقافته عنصراً من العلوم الدخيلة التي ترجمت الى العربية فله رسالة
في الطب يذكر فيها آراء جالينوس وبقراط ويستعمل كلمة
الكيموسات كما أن له رسالة ثانية استعمل فيها كلمة الماينغوليا
ومن شعره ما كتب به الى ابي الحسين الطبيب مداعباً

انا دعوناك على انبساط والجوع قد أثر في الاخلاط
فان عسى ملت الى التباطي صفت بالنعل قفا بقراط
وكذلك فقد نوه بحكمة ارسطاطاليس وافلاطون في
رسالته الكشف عن مساوي شعر المتنبي واستعمل بها كلمة
ارتطاطي وموسيقى . قال يتهمك بالتنبي « واحتذى هذا

الفاضل على مثلهم وطرقهم فقال :
وانت ابوالهيجان بن حمدان يا ابنه تشابه مولود كريم ووالد
و حمدان حمدون و حمدان حارث و حارث لقمان و لقمان راشد
وهذه من الحكمة التي ذخرها ارسطاطاليس وافلاطن لهذا
الخلف الصالح وليس على حسن الاستنباط قياس .
وقال : ومن عيون قصائده التي تحير الافهام وتفوت الاوهام
وتجمع من الحساب مالا يدرك بالارتباطي وبالاعداد الموضوعية
للموسيقى :

احاد ام سداد في احاد ليلتنا المنوطة بالتناد «
الصاحب في علمه وطريقة تفكيره اقرب الى اهل الظاهر
مع انه معتزلي في الاصول لذلك فهو شديد على من خالفه في
الرأي في مسائل الدين والأدب والغريب في امره انه وهو
الأديب الكاتب الشاعر - وعمود فن الأديب الذوق - ينكر
على المتصوفة ذوقهم ويعتبر كلامهم مفسدة للشعر . قال ينتقد
المتنبي : « و كنت اعجب من كلام ابي يزيد البسطامي في المعرفة
والفاظه المعقدة وكلماته المبهمة حتى سمعت قول شاعرنا في صفة
الفرس : « سبوح لها منها عليها شواهد » .

وقال : ومن شعره الذي يتباهى به بالسلاسة وخلوه من
الشراسة الموجودة في طبعه بيت رقية العقرب اقرب الى الافهام
منه وهو :

نحن من ضايق الزمان له في كُؤُوخاته قربك الايام
فان قوله « له فيك » لو وقع في عبارات الجنيد والشبلي
لتنازعتهم المتصوفة دهرأ بعيداً .»

و كأن هذا الرأي اصبح صواباً بعد الصاحب حتى قال
الثعالي في بيتمة الدهر : ومن معاييب شعراي الطيب ومقايجه
امثال الفاظ المتصوفة واستعمال كلماتهم المعقدة ومعانيهم المغلقة .
هذا والصاحب فارسي النسب والفرس شعب لقي التصوف
في نفوسهم مرعى خصيباً فنبغ منهم اكبر شعراء المتصوفة في
الاسلام كجلال الدين الرومي والحافظ الشيرازي .

.....

الزمن الذي اظل الصاحب والبيته التي عاش فيها والفطرة
التي فطر عليها ذلك له اسباب التعمق في العلم والادب
قال في مقدمة رسالته الكشف عن مساوي شعرا المتنبى :
«وها انا منذ عشرين سنة اجالس الشعراء واكثر الادباء

واباحث الفضلاء ، وعشرين أخرى أخذ عن رواية محمد بن يزيد المبرد واكتب عن اصحاب احمد بن يحيى ثعلب فما رأيت من يعرف الشعر حق معرفته و ينقده نقد جهابذته غير الاستاذ الرئيس ابي الفضل ابن العميد »

واجتمع عند الصاحب من الكتب ما لم يجتمع عند غيره فقد كانت خزانة كتبه فريدة و كان يتولاها ابو محمد الخازن الشاعر^(۱) قال ياقوت في معجم الأدباء^(۲) : كان صاحب خراسان الملك نوح بن منصور الساماني قد ارسل الى الصاحب في السر يستدعيه الى حضرته ويرغبه في خدمته وبذل البذول السنية فكان من جملة اعتذاره ان قال كيف يحسن لي مفارقة قوم بهم ارتفع قدري وشاع بين الانام ذكري ثم كيف يحمل اموالي مع كثرة اثقالي وعندي من كتب العلم خاصة ما يحمل على اربعمائة جمل او اكثر .

قال ابو الحسن البیهقي وانا اقول بيت الكتب الذي بالري على ذلك دليل بعد ما احرقه السلطان محمد بن سبكتكين فاني طالعت هذا البيت فوجدت فهرست تلك

(۱) بنیمة الدر ج ۳ ص ۱۴۸ (۲) ج ۲ ص ۳۱۵

الكتب عشر مجلدات . فان السلطان محموداً لما ورد الى الري قيل له ان هذه الكتب كتب الروافض واهل البدع فاستخرج منها كل ما كان في علم الكلام وامر بحرقه .

وكان صاحب اذا سافر استصحب معه من كتبه ما يحمل على ثلاثين جملاً فلما وصل اليه كتاب الأغاني لابي الفرج الاصبهاني استغنى به عنها .

وكان اهل العلم والادب يتوسلون الى صاحب بتقديم مؤلفاتهم اليه ويعتبرون قبوله اياها ورضاه عنها شهادة بجودتها قال ابن فارس في مقدمة كتابه الصاحبي : « هذا الكتاب الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها وانما عنوانه بهذا الاسم لاني لما الفته اودعته خزانة صاحب الجليل كافي الكفاة عمر الله عراض العلم والادب والخير والعدل بطول عمره تجملاً بذلك وتحسناً اذ كان ما يقبله كافي الكفاة من علم وادب مرضياً مقبولاً وما يرذله او ينفيه منقباً مردولاً ولان احسن ما في كتابنا هذا ماخوذ عنه ومفاد منه وقال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في خطبة كنا تهذيب التاريخ : « وهذا كتاب قصدت به غرضي دين ود

اما الدين . . . واما غرض الدنيا فان اقيم بفناء الصاحب الجليل
ادام الله بهاء العلم بدوام ايامه من يخلفني في تجديد ذكرى بحضرته
وتكرير اسمي في مجلسه ومن ينوب عني في مزاحمة خدمته على
الاعتراف بحق نعمته وعلمت اني لا استخلف من هو امس
به رحماً واقرب منه نسباً وارفع عنده موضعاً والطف منه
موقعاً واخص به مدخلاً ومخرجاً واشرف بحضرته مقاماً وموقفاً
من العلم الذي يزكو عنده غراساً فيضعف ريعاً ويحلو طعماً وبطيب
عرفاً ويحسن اسماً فاخترت لذلك هذا الكتاب ثقة بوجاهته وعلم
بقرب منزلته وكيف لا يكون عنده وجيهاً مكيناً ومقبولاً
قربناً وانما هو نتاج تهذيبه وثمره تقويمه وجناء تمثيله وربيع تحريكه
فلولا عنايته لما صدقت النية ولولا ارشاده لما نفذت الفطنة ولولا
معونته لما استجمعت الآلة وما يبعد به عن ايثار العلوم وتعظيمها
وعن تقديمها ونقر بها وهو الذي نصبه الله لها مثلاً واقامه عليها
مناراً وجعله لها سنداً ولاحياتها سبباً»

وما ظنك بمن يقتبس ابن فارس والقاضي الجرجاني من علمه
وادبه والاول امام في اللغة والادب والثاني من ائمة الدين والادب
وهو من ابعد الناس عن المحاباة وهو القائل :

ولم افض حق العلم ان كان كلما بدا طمع صيرته لي سلما
وابو بكر الخوارزمي على جلالة قدره وسعة علمه واعتداده بنفسه
يعترف بالاخذ عنه بقوله :

واني والزميك بالشعر بعدما نعلته منك الندى والفواضلا
كلزم رب الدار اجرة داره ومثلك اعطى من طار يقين نائلا

كـتـبـه

الصاحب من اكثر الوزراء تصانيف ولقد فاق استاذه
ابن العميد من حيث عدد المؤلفات وهو لم يقتصر على فن
بل الف في عدة انواع كالدين والتاريخ واللغة والادب
والاخبار ولو سلمت كتبه من الضياع لكانت مجموعة قيمة
تضاف الى المكتبة العربية ولكن القسم الاعظم منها مفقود
او لا يعلم مكان وجوده وما بقي لا يزال مخطوطاً في دور
كتب الشرق والغرب ولم يطبع منها الا رسالة واحدة سيأتي
الكلام عليها وفصول من رسائله ومقطعات من شعره مبثوثة
في كتب الادب والتراجم على سبيل الاختيار واتمثل والاستشهاد
وهذه اسماء كتبه :